المحاضرة الثانية: العلاقات الدولية الموضوع والمناهج

1- العلاقات الدولية والعلوم الأخرى:

العلاقات الدولية والتاريخ الديبلوماسي: يشتركان في المجال، أي في العلاقات ما بين الدول، لكن التاريخ الديبلوماسي يتناول تاريخ أحداث العلاقات الدولية فهو تاريخ وقائع لكنه محصور في الزمان، مهمته مقتصرة على التسجيل، تسجيل الأحداث المحسوسة زمانا ومكانا دون مراعاة عوامل الانتظام، أما العلاقات الدولية فيسعى عملها إلى الفهم الشامل لأحداث الواقع الدولي دون الاهتمام بالحدث في حد ذاته، فالتاريخ الديبلوماسي يقدم الوقائع والقراءات عبر مدة زمنية طويلة، والتي ينطلق منها علم العلاقات الدولية لبناء الفروض العلمية لمجاله.

العلاقات الدولية والقانون الدولي: التباين الأساسي بينهما يتركز في المنهج، ذلك أن العلاقات الدولية علم تجريبي، علم وقائع Science de faits، فهو ينطلق من الأحداث والوقائع للتحليل الموضوعي من أجل التفسير وبناء الفروض والتوقع، فإن القانون الدولي يرتبط بالمعرفة القانونية Connaissance juridique بالمنهج التحليلي الشكلي بغرض التعرّف على الأنماط Normes، أي القواعد الوضعية التي تحكم علاقات الدول، كما يوجد تباين من حيث الموضوع أو مادة الدراسة، ففي حين يعتمد القانون الدولي على التحليل القانوني للرابط القانونية Analyse juridique des rapports de droit، تعتمد العلاقات الدولية على التحليل الموضوعي لروابط الواقع Analyse objective des rapports de faits. فالأول علم نمطي Science normative والثاني علم تفسيري Science interprétative.

العلاقات الدولية والاقتصاد: رغم الضرورة القصوى للتحليل الاقتصادي في الظواهر الدولية، غير أنه بحاجة للعوامل التفسيرية الأخرى لفهم العلاقات الدولية، فلا الحتمية الاقتصادية ولا النزعة الاقتصادية قادرة على تفسير الواقع المعقد والمتشابك للعلاقات الدولية، كما أن الأزمات الدولية لا تخضع دوماً للخلفيات الاقتصادية، بل تخضع في أحيان أخرى للعامل الثقافي والسياسي والإيديولوجي والعسكري وغيرها.

العلاقات الدولية وعلم السياسة: علم السياسة يدرس بالخصوص ظاهرة السلطة، وهي الظاهرة التي لا يُمكن إدراكها بسهولة في المجتمع الدولي بعكس المجتمع الداخلي، لكن العلاقات بين الدول قائمة على أساس صراعات النفوذ وعلاقات القوة والسيطرة، وبالتالي علاقات السلطة، تشكل جوهر الروابط والتبادلات على الساحة الدولية، بإيجاز يذهب الكثير إلى تماثل في الموضوع بين علم السياسة والعلاقات الدولية، إضافة إلى الموضوع تستخدم العلاقات الدولية مناهج العلوم السياسية لتسقطها على المستوى الدولي، وهو ما يدفع أغلب منظري ودارسي العلاقات الدولية إلى الإقرار بأنها امتداد للعلوم السياسية، والتالي فرع من فروعها.

2- مفاهيم الأساس في العلاقات الدولية:

1- القوة: يرى هانز مورغنتاو أن العلاقات الدولية في حقيقتها علاقات قوة لا تخضع إلا لقانون واحد هو المصالح القومية، ومفهوم القوة مأخوذ من فكرة السلطة كمفهوم أساسي في العلوم السياسية، ويمثل مورغنتاو الاتجاه الذي يرى أن العلاقات الدولية ليست إلا علماً من العلوم السياسية ومرتبطة بها.

2- المجتمع الدولي: ينطلق ريمو آرون وستانلي هوفمان من أنّ أية نظرية في العلاقات الدولية يجب أن تقرّ بالاختلاف الجذري بين البيئة الداخلية للوحدة السياسية (الدولة) وطبيعة البيئة الدولية، حيث أن الأولى تتمتع بالاحتكار الشرعي للقوة، بينما الثانية تتعدد فيها القوى ولا تتمركز، وعلى هذا الأساس يكون علم السياسة علم السلطة بينهما العلاقات الدولية علم غياب السلطة أو علم تعدد السلطات.

3- وحدة السياسة الخارجية: يرى ريمون آرون أن السياسة الخارجية هي المفهوم الأساس الذي ينبغي أن تنطلق منه العلاقات الدولية، وذلك بوجهيها: الاستراتيجية والدبلوماسية تبعاً لحالات المجتمع الدولي، الحرب أو السلام. فالقوة ليست إلا وسيلة يستعملها اللاعبون الدوليون لفرض إرادتهم، وليست لمجرّد تحقيق النصر ذاته، الشيء الذي يعزى إلى غياب ظاهرة الاحتكار النهائي لأدوات القوة؛ ومن ثمّ الإقرار بجدلية الصراع الفكري (فكرة مأخوذة عن كلوزفيتس).

4- مفهوم المصلحة القومية: لقد أفرز الصراع الفكري الذي عرفته الولايات المتحدة الأمريكية بين التيار الأخلاقي الذي يريد التزام الأخلاق في السياسة الخارجية والتيار الواقعي الذي يقرّ بأن المصالح هي المحرك الأساسي للسياسة الخارجية إلى بروز مفهوم المصلحة القومية كمفهوم أساس في العلاقات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. سنة 1951، أصدرها مورغنتاو وكتاب "في الدفاع عن المصلحة القومية"، "In defense of national interest"، وجورج كينان كتاب "الدبلوماسية الأمريكية American diplomacy".

لقد احتلّ مفهوم الأمن القومي في أيامنا هذه مكانا بارزا في مفاهيم العلاقات الدولية، ذلك أنّه يتمثّل في فكرة أمن الوحدة السياسية، فالحرب ليست غاية لذاتها، إنما هي وسيلة للأمن. ومن ثم يكون ترابط مفهوم القوة بمفهوم الأمن، وعلى هذا الأساس تكون المصلحة القومية متمثلة في المثابرة على تنمية القوة الذاتية، إذ يرى مورغنتاو أن القوة روح الدولة التي تحقق لها استقلالها واستمرارها.

وهكذا يربط الواقعيون المحدثون، من أمثال فريديريك شومان Frederick Schuman بين المصلحة القومية والقوة.

5- مفهوم السيادة: مفهوم السيادة مفهوم قانوني في أصله ونشأته، لكنه اعتمد منذ البداية على واقع سياسي بحت، هو تركيز السلطة السياسية، حيث يرى بودان أن الأمير في مملكته صاحب سيادة تختلطة السلطة بشخصه، أما على المستوى الخارجي، فلا يمتثل لأي قوة كانت وإنما يتصرّف باستقلال مطلق.

واستناداً إلى عدّة روافد تاريخية، نشأ مفهوم السيادة في المجال الخارجي، والذي يعني التصميم القادر على رفض التدخل في شؤون الدولة من جانب أي هيئة أو وحدة دولية، كما يعني القدرة الفعلية على تحقيق الاستقلال السياسي، أي على تحقيق الإرادة الحرة في المجال الدولي، ومن ثمة الاشتراك المباشر في صراع القوى الداخلية، وهكذا يتجلى الترابط العضوي بين السيادة والقوة.

3- تعريف علم العلاقات الدولية:

بعد استعراضنا لتقاطعات العلاقات الدولية مع العلوم الأخرى، وكذا مفاهيمها الأساسية، يمكن القول أنّ أغلب المفكرين يميلون إلى اعتبار كل علاقة بين وحدة سياسية من وحدات المجتمع الدولي، وأيا كان صنفها: اقتصادية، سياسية، عسكرية أو ثقافية ... الخ، تدخل ضمن إطار وتخصص العلاقات الدولية.

يرجع تحديد موضوع الدراسة في اختصاص العلاقات الدولية إلى اجتماع اليونسكو في باريس عام 1948، أين اتفق أكاديميو العلوم السياسية على أن : السياسة الدولية والتنظيم الدولي والقانون الدولي هي المكونات الثلاث لتخصص العلاقات الدولية؛ وهي المواضيع التي تمّ التأكيد عليها في مؤتمر أول بلاهاي 1952، ثم ثان في استوكهولم 1955 لتلافي اللغط الواقع في استخدام لفظ السياسة الدولية كمرادف للعلاقات الدولية.

ويعرّفها محمد طه بدوي بأنها: "العلم الذي يعنى بواقع العلاقات الدولية، واستقرائها بالملاحظة والتجريب أو المقارنة، من أجل التفسير والتوقّع"

في حين، يميل البعض إلى اعتبار دراسة علاقات القوة في المجال الدولي في غياب سلطة عليا تمثّل صلب العلاقات الدولية.

وبالتالي، يكون علم العلاقات الدولية هو ذلك النمط من الدراسة التي تعني بتفسير حقيقة الظواهر الدولية للارتكاز عليها في تفسير أحداث الواقع الدولي لغرض بناء النظرية والتوقّع. فدراسة العلاقات الدولية تستهدف التوصل إلى تحليل دقيق على قدر الإمكان لحقائق الوضع الدولي، وذلك من خلال التعرف على طبيعة القوى التي تتحكم في تشكيل الاتجاهات السياسية للدول إزاء بعضها، وتحديد الكيفية التي تتفاعل بها هذه القوى والإلمام بمختلف التأثيرات وردود الفعل التي تتركها على أوضاع المجتمع الدولي.

4- مناهج العلاقات الدولية: هناك مجموعتان من المناهج التي تتبع في دراسة العلاقات الدولية:

أولا: المناهج التقليدية

1- المنهج التاريخي: هو أكثر المناهج شيوعاً، ينطلق من أنّ للعلاقات الدولية المعاصرة جذور وامتدادات تاريخية، لكنه يهمل السببية والترابطات المنطقية.

2- المنهج القانوني: وهو لا يحلل العلاقات الدولية في إطار الديناميكيات السياسية والقومية الاستراتيجية والإيديولوجية والسيكولوجية والدعائية التي ترافق تطور هذه العلاقات، وإنما يقتصر على الجوانب القانونية التي تحيط بعلاقات الدول (المعاهدات والاتفاقيات الدولية، المسؤولية الدولية، كيفية تسوية المنازعات الدولية بالطرق القانونية والديبلوماسية، هيكلة المنظمات الدولية ووظائفها وقواعد عملها ...الخ.

3- منهج التحليل في إطار سياسات القوى (المنهج الواقعي): هو منهج على اتصال بالواقع الدولي وأكثر تعبيراً عن أوضاعه، يقوم هذا المنهج على التحليل بفكرة المصلحة القومية وكذا فكرة القوة، حيث يؤخذ المجتمع الدولي كميدان لصراع مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستغلالها.

ثانياً: المناهج المعاصرة

1- المنهج النظمي: يقوم على تحليل النظام الدولي ومكوناته الفرعية، بيّنه Morton Kaplan في كتابه "النظم وكيفية عملها في السياسة الدولية"، يهدف إلى التوصّل إلى القوانين والنماذج المتكررة في كيفية عمل هذه النظم وتحديد مصادر ومظاهر الانتظام Regularities، أو عوامل التوازن والاختلال فيها، من أمثلة هذه النظم: النظم العالمية أو الكونية Global systems، نظام توازن القوى Balance of power، نظام الثنائية القطبية Bipolar system، وكذا نظام تعدد مراكز اتخاذ القرار في السيادة الدولية Polycentrion.

2- منهج التوازن في العلاقات الدولية: من دعاته جورج ليسكا Georges Liska، يحلل العلاقات الدولية في إطار التوازن الديناميكي وليس الستاتيكي، يأخذ بالواقع وكذا ديناميكيته أي حالة الاستقرار النسبي المؤقت الذي قد يختلّ تحت تأثير بعض العوامل ممهدا الطريق لظهور توازن مؤقت جديد.

3- منهج اتخاذ القرار: تهتم هذه المقاربة بتحليل كل العوامل والمؤثرات التي تحيط بصانعي السياسة الخارجية عند إصدار قرارات معينة، تأخذ هذه المقاربة برأي ريتشارد سنايدر Snyder، موضوع ادلوافع Motivation، تتابع المراحل Sequention، الأطراف المتفاعلة في بيئة قرارية Decisional setting ...الخ.

4- منهج المباريات: يعد من أكثر الأساليب المتطورة والمستخدمة في مجال التحليل النظري للعلاقات الدولية، يقوم على تصور أزمات دولية، حقيقة أو وهمية، وإسناد أدوار معيّنة ومحددة لعدد من الأطراف التي تقوم بتحليل كافة أبعاد الأزمنة وخلق نطاق واسع من البدائل الصالحة لحلها.